*ملامح النقد في العصر الأموي*

*بحث فى دراسات بلاغيه*

إعداد أ/ *ميريهان مجدي محمود*

*قسم اللغة العربية*

*كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*mirihan@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في ملامح النقد في العصر الأموي**

**الكلمات المفتاحية : سياسية ، البيان والتبيين ، أهل العراق**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن ملامح النقد في العصر الأموي**

1. **عنوان المقال**

**ولو نظرنا إلى ملامح النقد في العصر الأموي، وتحولنا إلى هذا العصر؛ لوجدنا الخطابة بجميع ألوانها من سياسية، وحفلية، ووعظية، تزدهر ازدهارًا عظيمًا، وفي كل لونٍ من هذه الألوان يُشتهر غير خطيب.**

**أما في السياسة، فيشتهر من ولاة بني أمية زياد، والحجاج، وفي زياد، يقول الشعبي: "ما سمعت متكلمًا على منبر قط تكلم فأحسن، إلَّا أحببت أن يسكت خوفًا من أن يسيء، إلَّا زيادًا، فإنه كلما أكثر كان أجود كلامًا"؛ هذا الكلام ساقه الجاحظ، في: (البيان والتبيين).**

**وفي الحجاج، يقول مالك بن دينار: "ربما سمعت الحجاج يخطب يذكر ما صنع به أهل العراق، وما صنع هو بهم، فيقع في نفسي أنهم يظلمونه، وأنه صادق؛ لبيانه وحسن تخلصه بالحجج".**

**ومن خطباء المحافل، سحبان بن وائل، وقد خطب بين يدي سيدنا معاوية > بخطبة باهرة، سمِّيت من حسنها باسم الشوهاء، ومثله، سحار العبدي، الذي راع معاوية > بخطابته، فسأله ما تعدون البلاغة فيكم؟ قال: الإيجاز؛ ولذا اشتهر أن البلاغة الإيجاز، وقال له معاوية >: وما الإيجاز؟ قال سحار: "أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ".**

**أما خطباء الوعظ، فقد بلغوا الغاية من روعة البيان، وفي مقدمتهم، غيلان الدمشقي، والحسن البصري، وواصل بن عطاء.**

**يقول الجاحظ: "إن أدباء العصر العباسي، كانوا يتحفظون كلام الحسن، وغيلان، حتى يبلغوا ما يريدون من المهارة البيانية، ويشيد ببلاغة واصل؛ مدللًا عليها لإسقاطه الراء من كلامه للثغته فيها، مع ما انتظم له من الحلاوة والجزالة".**

**ونرى الجاحظ في غير موضع من كتابه: (البيان والتبيين)، يسوق ملاحظات الناس على الخطباء، كما يسوق ملاحظات الخطباء أنفسهم، وخاصة أصحاب الوعظ منهم؛ إذ كان تلاميذهم يتحلقون حولهم، وكانوا يدربونهم على إحسان الأداء، وقرع الأدلة بالأدلة الناصعة، وهذا أيضًا يُحسب في ميزان النقد الأدبي.**

**ومن طريق ما ساقه الجاحظ من ملاحظات الناس، ما رواه الرواة عن عمران بن حطان، إذ قال: "إن أول خطبة خطبتها عند زياد، أو عند ابن زياد فأعجب بها الناس، وشهدها عمي وأبي، ثم إني مررت ببعض المجالس، فسمعت رجلًا يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب، لو كان في خطبته شيء من القرآن".**

**ومما ساقه من كلام الوعاظ، قول شبيب بن شيبة: "الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القطع، يعني: من نصوص الشعر والنثر، وبمدح صاحبه، وحظ جودة القافية، وإن كانت كلمة واحدة أرفع من حظ سائر البيت، ويسوق الجاحظ حوارًا طريفًا بين أبي الأسود الدؤلي، وغلامٍ كان يتقعر في كلامه، وقد تلوَّمه أبو الأسود تلومًا عنيفًا؛ لاستخدامه ألفاظًا مفرطة في الغرض.**

**والحق أن الملاحظات البيانية كثرة في هذا العصر الأموي، وهي كثرة عملت فيها بواعث كثيرة، وقد تحضَّر العرب، واستقروا في المدن والأمصار، ورقيت حياتهم العقلية، وأخذوا يتجادلون في جميع شئونهم السياسية والعقيدية، فكان هناك الخوارج والشيعة، والزبيريون، والأمويون، وكان هناك المرجئة، والجبرية، والقدرية، والمعتزلة، ونما العقل العربي نموًّا واسعًا، فكان طبيعيًّا أن ينمو النظر في بلاغة الكلام، وأن تكثر الملاحظات المتصلة بحسن البيان، لا في مجال الخطابة والخطباء فحسب، بل أيضًا في مجال الشعر والشعراء، بل لعل المجال الثاني كان أكثر نشاطًا؛ لتعلق الشعراء بالمديح وتنافسهم فيه.**

**وانفتح لهم الخلفاء والولاة، والقواد، والأجواد، أبوابهم، فوفدوا من كل فجٍّ، وكانوا يجعلون جوائز كل منهم بقدر شعره وبراعته فيه، فاشتد التنافس بينهم، وهُيِّئ من بعض الوجوه؛ لاندلاع الهجاء بين كل فريق منهم؛ والمهم أنه هُيئ لكي يتخير كل منهم معانيه وألفاظه، بحيث تصغى لها القلوب والأسماع، وتساق إلى صاحبها الجوائز الضخمة، وأخذ الشعراء بحكم استقرارهم في المدن، يلقى بعضهم بعضًا في المساجد، والأندية، والأسواق، وعلى أبواب من يمدحونهم، وفي حضرتهم، وكثرة المحاورات بينهم من جهة، وبينهم وبين سامعيهم من جهة أخرى في براعتهم، وفي بعض معانيهم وأساليبهم.**

**وقام في هذا العصر، سوق المربد في البصرة، وسوق الكناسة في الكوفة، مقام سوق عكاظ في الجاهلية، بل لقد تحوَّل هذين السوقين إلى ما يُشبه مسرحين كبيرين، يغدو عليهما شعراء البلدتين، ومن يفد عليهما من البادية، ينشد الناس خير ما صاغوه من الأشعار.**

**واستطاع جرير، والفرزدق، أن يتطوروا في سوق المربد بفن الهجاء القديم، فإذا بهذا السوق يصبح مناظرة واسعة في حقائق عشيرتي الشاعرين، وحقائق قيس وتميم، ويحاكيهما كثير من الشعراء، ويتجمع لهم الناس يصفقون كلما مر بهم بيت نافذ الطعنة، ويهتفون، ويصيحون، ذكر ذلك الأصفهاني، في الجزء العاشر من كتاب: (الأغاني).**

**ومن يقرأ أخبار جرير، الذي كان يهاجيه فيما يقال: ثلاثة وأربعون شاعرًا، يجد أن الدافع إلى اشتباكه مع بعض الشعراء يعود إلى تقبيحهم لبعض قوله، وإلى تقبيحه لبعض أقواله، وبيان أنها تخرج على قواعد التعبير الجيد، ويسوق لذلك مثالًا واحدًا، ودافع تهاجيه مع عمرو، هو دافع تهاجيه مع عمر بن لجى التيمي، وقد سمعه جرير ينشد في أرجوزة له يصف إبله، يقول:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قد وَردتْ قبل إنَا ضَحَائِها** | **\*** | **تُفَرِّسُ الحَيَّاتِ في خِرْشَائِها** |
| **جَرّ العَجُوزِ الثِّنْيَ من رِدَائِها** | **\*** | **.... ..... ..... .....** |

**يريد أن الإبل ترد مرعاها وقت ضحى، وتحطم جلد الحيات المنسلخة منها، وتجرها كما يجر العجوز ذيل ردائه.**

**قد عارضه يقول: كان أولى بك أن تقول: جر العروس لا جر العجوز التي تتساقط خورًا وضعفًا، واستشاط عمر غضبًا فهجاه، واحتدم بينهما الهجاء، ومدار ملاحظة جرير على انتخاب الكلمة الملائمة للسياق، وكان كثيرًا ما يتعرض بعض السامعين للشعراء وهم ينشدون، فيبدون بعض ملاحظاتهم البيانية والتعبيرية، من ذلك ما يقال: من أن ذا الرمة، كان ينشد بسوق الكناسة في الكوفة إحدى قصائده، فلما انتهى منها إلى قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذا غير النأي المحبين لم يكد** | **\*** | **رسيس الهوى من حب مية يبرح** |

**رسيس الهواء، يعني: ابتداؤه، صاح به ابن شبرمة، أراه قد برح وكأنه لم يعجبه التعبير بقوله: "لم يكد"، فكف ذي الرمة ناقته بزمامها، وجعل يتأخر بها، ويفكر، ثم عاد فأنشد:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إذا غير النأي المحبين لم أجد** | **\*** | **رسيس الهوى من حب مية يبرح** |

**ويسوق صاحب (الأغاني)، كثيرًا من الملاحظات التي كان يتبادلها شعراء الغزل بالحجاز على معانيه، كما يذوق طرفًا من ملاحظات ابن أبي عتيق، والسيدة سكينة بنت الحسين على أشعاره، وكان بعض الخلفاء بدمشق، وخاصة عبد الملك بن مروان، يعلقون على بعض ما يسمعونه بملاحظات طريفة من ذلك: أن ابن قيس الرقيات، أنشد عبد الملك قصيدته البائية فيه، فلما انتهى إلى قوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يأتلق التاج فوق مفرقه** | **\*** | **على جبين كأنه ذهب** |

**غضب عبد الملك، وقال له: قد قلت في مصعب بن الزبير:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **إنما مصعب شهاب من الله** | **\*** | **تجلت عن وجهه الظلماء** |

**فأعطيته المدح بكشف الغمم، وجلاء الظلم، وأعطيتني من المدح ما لا فخر فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني، الذي هو كالذهب في النضارة.**

**وهي ملاحظة دقيقة، ولا نرتاب في أنها هي التي ألهمت قدامة في كتابه: (نقد الشعر)، فكرة أن المديح ينبغي أن يكون بالفضائل النفسية لا بأوصاف الجسم، وما يتصل بها من الحسن، والبهاء، والزينة، ولعل في كل ما قدمنا ما يدل على أن ملاحظات البيانية في العصور القديمة، جاهلية، وإسلامية، لم تغب عن أذهان البلاغيين حين أصَّلوا قواعد البلاغة، وهي بحق تُعدُّ الأصول الأولى لقواعدهم.**

**المراجع والمصادر**

1. **القزويني ، زكريا بن محمد القزويني تحقيق: محمد السعدي فرهود ، (الإيضاح في علوم البلاغة) ، طبعة رقم1، سنة النشر: 2001 م**
2. **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، (دلائل الاعجاز) ، ط5، مكتبة الخانجي، 2004م.**
3. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (دلالات التراكيب دراسة بلاغية) ، القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1987م**
4. **المراغي، أحمد مصطفى المراغي، (تاريخ علوم البلاغة و التعريف برجالها) ، القاهرة، مكتبة و مطبعة مصطفى البابي، ط1، 1950م**
5. **فيود ، د. بسيوني عبد الفتاح فيود ، (علم البيان: دراسة تحليلية لمسائل البيان) ، القاهرة، مؤسسة المختار ، دار المعالم الثقافية، الإحساء ، ط 2، 1998 م**
6. **الخوارزمي ، الشيخ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بسراج الدين السكاكي، (مفتاح العلوم) ، لبنان، مكتبة المقهى، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ، 1987م**
7. **الشاطئ، عائشة بنت الشاطئ، (التفسير البياني) ، مكتبة المجلس، الطبعة الأولى، 1962م**
8. **فيود، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، (علم البديع: دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع) ،القاهرة، مؤسسة المختار، 2004**
9. **الصعيدي، عبد المتعال الصعيدي، (البغية على الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة) ،مكتبة الآداب، 1999م**
10. **شاهين، كامل السيد شاهين، (اللباب في العروض و القافية) ،القاهرة، الهيئة العامة لشئون الأميرية، 1978م**
11. **القيرواني، ابن رشيق القيرواني، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه) ،الناشر: دار الكتب العلمية، 2001م**
12. **أبو موسى، د. محمد محمد أبو موسى، (التصوير البياني) ،القاهرة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م**